«الدرس الثالث»

إن الحمد لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لِه، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحَدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ،

أما بعد:

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حريصا على أمته ودعى لها، واستجاب الله تعالى له في أمور دون أمور، وما يخص الفتن دعى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأشياء لم يستجبها الله له، وهذا يدل على ترسم استشراف الغيب عند المسلم، ولا سيما كما قلت أحاديث الفتن. فهو رابط الجأش شديد التعلق بالله فيعلم أن الفتن ستأتي آخر الزمان على شكل أمواج، وهذه الأمواج بعضها عاتٍ شديد، وهذه الأمواج لها قوة ضاغطة وتحتاج إلى قوة تنبع من داخل الإنسان تكون بقوة القوة الضاغطة فإذا كانت القوة الضاغطة أشد من يقينه وعلمه وتقواه وتألهه، وقربه من ربه ينقطع فتبحثه أو تبطحه. الفتنة -كما ورد عن حذيفة فيما سأذكر بعد قليل-.

من بين الأدعية التي دعاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء يخصنا ويهمنا لأنه متعلق بأمة محمد المبثوثة في أرجاء الدنيا، وقد وقع مرات سابقا، وسيقع مرات ومرات ومرات لاحقا، وما يجري هذه الأيام هو جزء من مما أخبر عنه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقلت لكم كما أن الفقه لا تأخذ مسألة من دليل، وإنما الدليل الواحد تستطيع أن تفرع عليه مسائل كثيرة، وكذلك أحاديث الفتنة.

أخرج مسلم حديثين في الصحيح أحدهما عن ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والآخر عن سعد بن أبي وقاص فيما يخص هذه السُنَّة الباقية هذه الأمة، ولفظ مسلم رفعه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «إن الله زوى

لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» الإسلام سينتشر في الدنيا كلها، والجهاد في شرع الله تحطيم الحواجز التي تحول دون نشر الإسلام.

فإذا لم توجد هذه الحواجز -احفظ وردد- الإسلام يكسب ويفوز بالسلم أكثر من فوزه بالحرب. اليوم لو عددت المسلمين أكبر تجمع في الدنيا كلها للمسلمين إخواننا في إندونيسيا، وإندونيسيا في دخول الإسلام ما سالت قطرة دم، وفتحت إندونيسيا بأخلاق المسلمين من التجار.

خلق المسلم وسمته سلاح فعال قوي في نشر الإسلام، إذا اردت أن ينفع الله بك وأرجو الله أن ينفع بي وبكم فليكن قولك وعملك سواء وليكن ظاهرك وباطنك سواء، فإن الله ينفع بك ولا محالة.

إن كان قولك وفعلك وظاهرك وباطنك واحد، أنت قد جمعت نفسك فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض» ثم قال، وهذا هو الشاهد من ايراد الحديث ثم قال «وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال «يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها» أو قال «بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا».

هذا الحديث فيه بشارة لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يهلك بسنة عامة، وألا تجتمع عليهم الأمم فيعملون على إهلاكهم، وذهاب بيضتهم لكن هل الكفار يمكن أن ينفردوا ببعض البلدان دون بعض وأن يفنوهم وأن يقتلوهم؟ قطعا هذا ليس داخلا في الحديث.

يمكن للكفار أن يجتمعوا على بلد، وهذا موجود تاريخ الإسلام والتاريخ المعاصر دليل على هذا، وأكثر ما تحمل المسلمون في التاريخ المعاصر تحملوا في مكان لا نعرف عنه شيئا كثيرا للأسف.

دول البلقان أكثر المسلمين فتنة في دينهم في هذا العصر، وبدأ الاحتكاك بالدولة العثمانية هذه الدول ونزعت منها بمعاهدات أبرمت، ولست الآن في صدد التفصيل في هذا الباب وكان الأذى للمسلمين في دور البلقان شديدا إلى السبعينيات من القرن العشرين، ما حصل في كسوفو، وما حصل مع جيرانهم فدخلوا عليهم وقتلوهم، أبادوهم، وهذا أمر معروف.

لما كنا في البوسنة ذهبنا لمقبرة فسمعت صياحا من الأخوة بالدعاء عليهم قلت من هؤلاء؟ قالوا هؤلاء الذين جاءوا فقتلهم الثوار، قتلوا عددا قليلا فدفنوا في هذه المقبرة على حدود البوسنة والهرسك.

الشاهد أن الله أعطى هذه الأمة ضمانا ألا يهلكوا بسنة عامة، لكن سنة خاصة بعض الأقطار ممكن. الحديث الثاني أوضح في الدلالة على ما أريد، وهو أيضا عند مسلم أخرجه، وكعادة مسلم يبدأ بالمجملات ثم يأتي بالتفصيل فأخرجه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل ذات يوم من العاليه من شمال المدينة، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين يقول سعد، وصلينا معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. قال سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها»** السنة العامة يهلك المسلمون جميعا مرة واحدة، ودفعة واحدة هذا أمر غير ممكن هذا ضمان من الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق أعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم شديدا فمنعنيها»** بأس المسلمين فيما بينهم، وهذا يوافق الحديث

الأول، أن يفني بعضهم بعضا، وأن يسبي بعضهم بعضا، والذي شرع السبي والقتل هم الخوارج، والخوارج أول فتنة في الإسلام.

قد يعترض بعض الاخوة.. أنت أخبرتنا أن معاذ يقول أول فتنة مقتل عثمان، مقتل عثمان سببه الخوارج، ثم بعد مقتل عثمان هذه الفتنة تمكنت -ولي كلمة صغيرة بعد قليل- وسأذكر أشياء يسيرة عن الخوارج؛ لأنها الخوارج وتفصيل التاريخ وما أخبرنا عنه من نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصحابة عن الخوارج يحتاج إلى دورة خاصة.

الكلام على الخوارج طويل وكثير لكن سأذكر، وأتحول بعد قليل وبعد بيان ما أريد.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلامه وحي، وكلام الوحي لا يتناقض، وهو حجة في جميع صوره.

فهو حجة بمنطوقه وحجة بلازمة وحجة بمفهومه.

تأمل معي جيدا، وأنا ما سأقوله لكم الآن هو من عندي ولم أقرأه في كتاب، ولكني أراه صوابا، وأراه مهما: **«سألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم شديدا فمنعنيها** احفظ هذا، واحفظ حديث **«خمس أن تدركوهن وأعوذ بالله أن تدركوهن»** وذكر الخامسة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال في حديث عبد الله بن عمر عند ابن ماجة والبيهقي في الشعب، والحديث صحيح قال **«وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا كان بأسهم بينهم شديدا»**.

اربط وأسألك سؤالا والجواب الآن يظهر عندك، ولو أني سألته من أول يعسر أن تجيب بجد.

هل كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم بالوحي أن هذه الأمة سيحكمها أقوام بغير كتاب الله؟

الجواب: قطعا نعم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «وسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم شديدا فمنعنيها» وسبب البأس الشديد بين أفراد الأمة أن يُحكَموا من غير الكتاب والسنة، وفي هذه الدلالة إشارية والدلالة الإشارية في مبحث الدلالات في علم الأصول لها تعلق بالمنطوق لا بالمفهوم، والمنطوق أقوى من المفهوم وفي هذه الدلالة الإشارية بيان فساد مذهب الخوارج، وإطلاق الكفر على الحكام، والخوارج أول ما يبدؤون بالحكام وينتهون أخيرا ينتهون بالشرطي وينتهون بـ... لذا تعجب وعقلك يقف لا تستطيع أن تفهم، وأن تفكر.

لما قال من قال لابد الدم الأردني والدم الفلسطيني يشتبك قال كيف الدم الأردني والفلسطيني يشتبك؟ قال لابد أن نقتل الجنود الأردنيين حتى نحرر غزة! هذا مذهب من؟ هذا مذهب الخوارج. هذا الكلام كلام الخوارج، كيف الجندي كافر والموظف كافر، كيف تستحلون دماء الناس؟ والحرب قائمة بين اليهود والمسلمين، والمسلمون الأصل فيهم أن يكونوا ردءا وردفا للمسلمين. وبالتالي إخواني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا أن أمتنا بخير.

بمعنى أنه ضمان لهذه الأمة من أن لا تفنى بسنة عامة، ولكن الأمواج تعتريها وهذه الأمواج تحتاج إلى وكلاء لها حتى يقومون ويعملون على نشر الفتن بين الأمة، ووكلاء الفتنة أخبرنا عنهم حذيفة وإخبار حذيفة له حكم الرفع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن الذي أريد أن أؤكده الآن، وأربطه بما وصلنا إليه في الدرس الماضي أن أحوال الأمة بدأت على خير حتى أنزل الله عَزَّوَجَلَّ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:3] اليهود لما سمعوها قالوا لو هذه نزلت علينا لجعلناها عيدا، وكانت قد نزلت في العاشر من ذي الحجة ولما سمعها عمر بكى، وقال ما بعد التمام إلا النقصان وبقي الدين قائما على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، واجتمعت مكامن القوة في الأمة.

الخلافة والجند، وإن جاز لنا أن نتكلم رجال الدولة والساسة والعلماء، ومساعدوهم من الخطباء والوعاظ والقصاص، وفيه قصص صحيح ليس كل من قص أساء، والتمييز بينهما لإخواننا الدعاة من الأمور المهمات، ولست الآن بصدد هذا.

كانت الأمة مجتمعة، لما كان قائما على الأمة الخلفاء الراشدين الأربعة ثم فيما بعد انفك العلم عن الساسة وبقي الدين قائما، والذي تولى أمر الدين العلماء والولاة والسلاطين زمن الأمويين، والعباسيين فما بعدهم، نالوا من الشهوات والملذات ما لا يعرفه أحد اليوم، ولا يخطر في بال أحد.

ما نالوه من الشهوات والملذات.

وبقي الدين قائما وأمر الناس -كما قال أبو بكر الوراق- كما اسند عنه أبو نعيم في الحلية قال الناس الثلاثة أمراء وعلماء وفقراء.

الأغنياء آنذاك قليل. أمراء وعلماء وفقراء.

قال إذا فسد الأمراء فسدت المعيشة، وإذا فسد العلماء فسد الدين، وإذا فسد الفقراء فسدت الأخلاق.

وكان سفيان الثوري يقول وبعضنا يردده حديثا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ليس بحديث إنما هو صحيح عن سفيان الثوري قال صنفان إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء.

العلماء والأمراء. الأمراء الحكام والعلماء القائمون على الدين.

مدار صلاح الدين على الفهم الصحيح بالدين، وأن نكون متبعين مستمسكين بالوحي.

بقي الدين متماسكا ومع تماسك الدين الأمر في انحدار، ومثلت لكم برسم بياني حتى أوضح هذه الحقيقة، ولي على الرسم البياني يعني بعض التعديلات أو بعض الملحوظات.

ننظر بالرسم البياني وأتكلم وأنتم تنظرون بإذن الله تعالى.

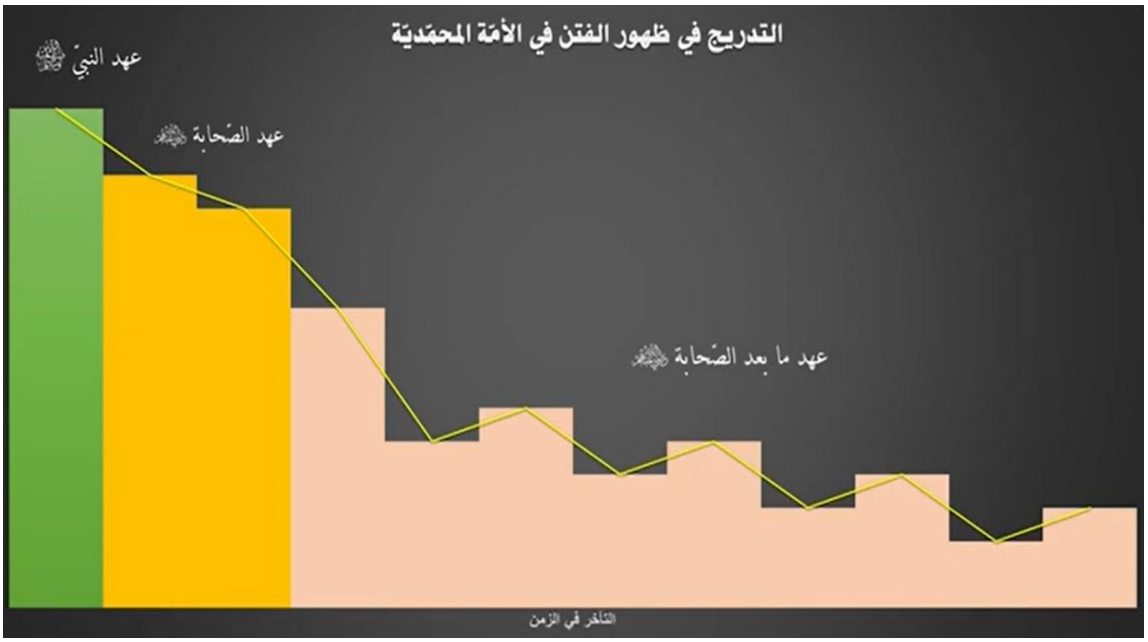

الرسم البياني يبدأ من زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأخضر ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الخلفاء الراشدين الأربعة الأصفر، لا يمكن للدين أو لإمام من المسلمين أو لعالم من العلماء أن يلحق بالخلفاء الراشدين الأربعة لا يمكن.

فبعد الخلفاء الراشدين الأربعة بدأ النزول.

النزول المرسوم أمامكم نزول مضطرب، لكن حقيقة النزول قد يصعد يعني آخر شيء قد يصعد إلى دون الأصفر -كما حصل مع عمر بن عبد العزيز- وقت عزة الإسلام الصعود، وقت ما أصيب المسلمون بالفتن هذا النزول،

فهناك صعود ونزول، وقد يصعد أكثر من الطريقة الموجودة، ولذا لما سئل الحسن البصري عن عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج؟ قال لابد للناس من تنفيس بين الفينة والفينة، وقد يكون النزول شديد في مكان، وقد يكون في مكان آخر، في قطر آخر في ارتفاع، والذي يحفظ الدين هو الله جَلَّ فِي عُلَاه والله جَلَّ فِي عُلَاه كما ذكرت لكم ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ

﴿لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة:251] قانون المدافعة. تأمل معي الآية وقد ذكر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير كلاما بديعا يستحق أن يرجع إليه في سر ذكر الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ [البقرة:251] ولم يقل ولولا دفع الله المسلمين.

المسلمون قد يكون الله الذي ينصرهم في صراع عالمي بين دول كبرى، فتكون النتيجة في فائدة للإسلام والمسلمين كما وجدنا وشاهدنا في روسيا وحربها مع أوكرانيا في صلاة العيد والمجمعات الضخمة الكبيرة في روسيا، والإذن بترجمة وتوزيع مصحف مترجم إلى اللغة الروسية إلى آخره. وهذا أمر لا ينكر، لا يمكن أن ينازع فيه.

وبالتالي الذي أريد أن أقوله بهذه الضميمة، وبهذه المناسبة لا تخش على دين الله.

الدين دين الله لكن تفقد منهجك وتفقد عملك هل أنت متقيد بتقريرات العلماء الربانيين أم لا؟

لا نخشى على ديننا، الدين ليس لنا، الدين دين الله عَزَّوَجَلَّ المهم أن نبقى على الطريق، وكان شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يقول إن بقينا في الطريق، وكان مشينا مشي السلحفاة فمن كان على الطريق يصل، وإن تعجلنا وركبنا الطائرات، وأقلعنا وصار الاتجاه في غير اتجاه الهدف لم نصل، سنبتعد ولذا الواجب أن نتفقد أنفسنا في طريقنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أعود فأقول الفتنة أمر معقول، وتتجسد في الأمة بجهود، والفتنة تحتاج إلى جهود ولها بيئة، ولها مادة وبيئتها -كما أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين- أن يتقارب الزمان، وترفع البركة، وأن يظهر الجهل وأن ينقص العمل الصالح، ولذا ثبت في البخاري من حديث أم سلمة لما رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفتن تنزل من السماء فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

«من يوقظ الصويحبات حتى يصلين؟» من يوقظ أزواجي؟ ثم قال «لا إله إلا الله

ماذا نزل اليوم من الخزائن؟ ماذا نزل اليوم من الفتن؟ ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج وحلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصبعيه».

فلما أطلعه الله على نزول الفتن قال «من يوقظ الصويحبات» النساء «كي يصلين» صلاة قيام الليل من أسباب درء الفتنة لذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح قال «بادروا بالأعمال الصالحة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض الدنيا» وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح مسلم قال «العبادة في الهرج كهجرة إليّ» الذي يعبد الله في الفتنة كأنه يهاجر مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالفتنة لها بيئة ولها مناخ، والفتنة لها مادة ومادة الفتنة أمران، والأشد أن يقع تزاوج بين هذين الأمرين ويقع تناكح، فإذا وقع تناكح بين قطبي الشر، والشر كله مرده إلى أمرين، والخير كله مرده إلى أمرين.

فمادة الفتنة مردها إلى الشبهة والشهوة.

والخير كله في العلم النافع والعمل الصالح.

العلم دون عمل لا ينفع، والعمل دون علم لا ينفع.

أرأيتم هذه، عملة أردنية فئة الخمسين دينار، وهذه فئة الخمسين دينار لها وجهان لا تمشي هذه العملة، بوجه لو أردت تشتري بهذه العملة شيئا فذهبت لتشتري وجه سليم وجه ممسوح ما تمشي.

فالعبد لا يقبل عند الله ولا يكون على هداية إلا بالأمرين العلم والعمل. والشر، وهو مادة الفتنة الشهوة والشبهة، وهما المرض في القرآن فأينما قرأت كلمة مرض في القرآن فيراد بها إما شهوة ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:32] ما المراد هنا

بالمرض؟ الشهوة، وكذلك قول الله تعالى عن المنافقين ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:10] وقول الله ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي الشبهة.

فمادة الفتنة شهوة وشبهة.

لذا انتشار الإلحاد ولا يمكن أن ينتشر الإلحاد كما يريد اليهود الذين خططوا له، ولا يمكن أن ينتشر الشذوذ الجنسي والمثلية وما شابه إلا مع موجة إلحاد.

فالشهوة مثل العمود الذي يدق للشبهة؛ حتى تبقى الشبهة مكينة عالقة في القلوب والنفوس والعقول.

فالفتن تحتاج إلى من يثورها، والفتنة مثل البضاعة الوافدة تحتاج لوكيل. تقول بضاعة كذا وكذا. الفتنة لها وكلاء، ووكلاء الفتنة فيما أخرج ابن أبي شيبة وغيره عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قال وكلت الفتنة بثلاثة -أسأل الله أن يجيرنا وأن يعيذنا وإياكم من أن نكون وكلاء الفتنة- وكلت الفتنة بثلاثة، والمراد بثلاثة ليست ثلاثة أشخاص، وإنما ثلاثة أنواع من الناس، ولا يمكن أن تقع الفتنة وتنتشر إلا بهذه بهؤلاء الوكلاء الثلاثة مجتمعين.

قال وكلت الفتنة بثلاثة: بالحاد النحرير الذي لا يريد أن يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف، هذا رأس الحربة، هذا في مباريات كرة القدم الهجوم.

قال الحاد النحرير الذي لا يريد أن يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف، وبالخطيب الذي يدعو إليه الأمور، وبالشريف -هذا لفظ ابن أبي شيبة- وفي لفظ أبي نعيم وغيره وبسيد المذكور.

قال فأما الحاد النحرير فتصرعه، متى قامت الفتنة الحاد النحرير يموت فيها فتصرعه.

وأما هذان الخطيب والسيد فتبحثهما فتبلو ما عندهما، وفي رواية أبي نعيم فأما هذان فتبطحهما لوجوههما. ينبطح لها.

فالحاد النحرير هو العنصر الأهم في وكلاء الفتنة الثلاثة، وهو الذي يعمل على تثوير المسلمين في حملهم على قتال بعضهم بعضا، وقد يتذرع بالديانة والحكم بالشرع والحكم بالدين وضرورة الخروج على

أولياء الأمور، ويبدأ يسلك مسلك الذي أخبرنا عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخوارج.

فهذا شرهم، وهذا الصنف من الناس سماه حذيفة بالحاد النحرير، تتفحص كل الفتن التي وقعت في بلاد المسلمين فتجد أنها نبعت من تحت هذا الصنف من الناس.

الصنف الآخر هو الخطيب الذي يدعو إليها، لا يلزم الخطيب أن يكون شخص.. وسائل الاعلام، وسائل التواصل، وما أكثر الخطباء وما أعجب التزويق، ولا سيما في وسائل التواصل لما ترى الصورة وتسمع الخبر، وتجعل الجماد يكاد ينطق.

وكذلك تحتاج الفتنة لسيد أو شريف أو عالم، أو إنسان له مكانة مرموقة معروف عند الناس في المجتمع من الأسماء اللامعة، وقد يكون معروف بشيء من العلم وبالأمانة، وقد يكون له أثر في الناس.

سيد شريف سماه حذيفة فيجتمع الإعلام مع هذا السيد الشريف مع الحاد النحرير، هؤلاء أصناف ثلاثة لا يمكن للفتنة أن تقوم في الأمة، وأن تنتشر إلا بهذه الأصناف الثلاثة.

الفتن لا تحتاج إلى حد، الفتن أن أقبلت تحتاج إلى عقلاء، تحتاج إلى أناس يفهمون الفتنة ويعملون على تجفيفها من مواردها ومن أصولها، ولا تحتاج لصراع.

داعية في السعودية كان يحوم حول الخروج، وهو الآن مسجون فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ خارجي وتقول فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ؟ أي والله أنا أقول للكافر: الله يهديه.

فالدعاء ما في حرج.

فالخلاصة هذا يحوم حول الفتن، وكان له درس بين المغرب والعشاء يحضره قرابة خمسين أخ بعد العشاء، سؤال وجواب، وأغلبها أسئلة في السياسة وكلام في السياسة كان يحضر أكثر من خمسة آلاف شخص، فقالوا للشيخ ابن عثيمين -انظروا إلى طريقة العلماء في معالجة الفتن- الشيخ ابن عثيمين مشى من بريدة بالقصيم إلى جدة، ودخل في وقت العشاء فلما رأى الشيخ ابن عثيمين جالس ليس له إلا أن يقدمه فبدل السؤال والجواب صار سؤال للشيخ العثيمين، فوقف الشيخ ابن عثيمين

وراء الميكرفون، وحمد الله عَزَّوَجَلَّ وقال يا فلان قم إني سائلك هل تكفر الحكام؟ تكفر الناس؟ فألجمه، واضطر أن هذا الحوم أن يتبرأ منه، فذكره بخير وذم الخروج بأنواعه وأشكاله، وأنهى المجلس.

فأقام عليه الحجة أمام تلاميذه بطريقة لبقة. فالحاد النحرير لا يحتاج إلى شدة، والأقوام الذين يؤمنون بالخروج لا يحتاجون إلى شدة، يحتاجون إلى فهم، وإلى عقل وإلى تدبير وإلى دليل، وهكذا صنع عبدالله بن عباس مع الخوارج ناقشهم، ولما ناقشهم -وابن عباس ما أدراك من عباس- رجع أربعين ألفا بعد المناقشة، رجع عدد كبير وجمع غفير.

الشاهد أن الحدة في النحرير لا يجوز في وقت الفتن أن يتعجل المتعجلون، والواجب عليهم أن يتماسك الإنسان وأن يتأنى، وقد قالوا قديما **من تأنى نال ما تمنى** ولذا في صحيح مسلم حديث جميل، وبهذه المناسبة أذكره وهو حوار بين المستورد بن شداد، وبين عمرو بن العاص فأخرج مسلم قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول «تقوم الساعة والروم أكثر الناس» هذا مربوط بالحديث السابق، أن هذه الأمة تفنى بأن يعتدي بعضهم على بعض، وأن يسبي بعضهم بعضا، ويكون القتال بينهم شديدا فسمع عمرو بن العاص المستورد يرفع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله «تقوم الساعة والروم أكثر الناس» الروم من نسل روم بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يعني الجنس الأوروبي الآن، فقال له عمرو أبصر ما تقول فقال المستورد أقول ما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لئن قلت ذلك أن فيهم لخصالا أربعا.

في الروم، وذكر عمرو بن العاص خصال أربعة في الروم، وهي محمودة فقال إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف. ثم قال وخامسة حسنة جميلة، وأمنعهم من ظلم الملوك.

أمنع الناس من ظلم الملوك.

هذه الخصال الخمسة التي مدح فيها عمرو بن العاص الروم، وشاهدي من إيراد هذا الحديث قوله إنهم لأحلم الناس عند فتنة.

ففي وقت الفتنة تحتاج إلى حِلم ولا تحتاج إلى ما هو سواه.

الفتنة إخواني -كما قلت- لها قوة ضاغطة، والقوة الضاغطة تحتاج لاستعداد نفسي وإلى تنفير النفس بأن يقاوم الشبهات بالعلم، والشهوات بالذكر والعبادة والطاعة.

وإذا جاءت الفتنة والإنسان لا يجمع قواه، ولا يحفز نفسه على مقاومة الفتنة ينخرط فيها وهو لا يشعر، ولذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح قال «القابض على دينه كالقابض على جمر» هذه جمرة فأحملها هكذا تبقى مشتعلة وتؤذيني، وإيذاؤها شديد لي لكن إن قبضت عليها أطفئها، أتأذى في البداية واطفئوها في النهاية.

فسبب ترك كثير من الناس لكثير من الواجبات الشرعية والسنن إنما هي أعراف وعادات فاسدة وخزعبلات عند الناس، وأشياء ليس لها وزن.

قال إيش يقولوا عني الناس اني التحيت مثلا، أو لبست دشداشة مثلا، أشياء ليس لها وزن، أشياء وهمية أكثر منها واقع، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول «القابض على دينه كالقابض على جمر» وقت الفتنة اقبض على دينك، ولا يستطيع العبد أن يقاوم الفتنة إلا إن حفز نفسه، وأوجد الاستعداد القوي عنده، ويقبض على دينه على وجه بإذن الله تعالى تمر هذه الموجات العاتية والشديدة، ولا يتأذى فيها.

لكن.. انتبه أعجبتني نصيحة لبعض علماء المتأخرين من الدمشقيين كان يقول لتلاميذه عبارة حسنة، كان يقول لتلاميذه ليكن أحدكم كالحوارة، ولا يكن كالشجرة التي هي خشب.

قال فالحوارة إذا جاء الإعصار مالت باستقامة، والخشب الواقف تقطعه. فليكن أحدكم كالحوارة يعني الشرع أوجد رخصا، وأوجد سعة حتى قال العلماء لو أن الأرض والسماء أطبقت بعضهما على بعض

بحرام فإن طالب العلم يأخذ نصيبه من هذا الإطباق بالحلال؛ لأنه يأخذ المقدار الذي فيه الحاجة والضرورة.

فالشاهد ينبغي للإنسان في وقت الفتنة أن يتعامل معها بطريقة سديدة صحيحة سليمة، ولا يعرف ذلك إلا العلماء، فهم الذين يعرفون الأشياء.

وأنت إن أخطأ العالم واتبعته في مسائل لا تستطيع باجتهادك أن تقف على حقيقتها أنت معذور، أما وأنت لست من أهل الاجتهاد فاجتهدت فكونت رأيا فأصبت فأنت موزور.

أنت لست من أصحاب الرأي فكيف والرأي الذي يسمع من ها هنا وهناك، رأي ما أنزل الله تعالى به من سلطان ورأي في بعض الأحايين يخالف قطعيات الدين، ولماذا يخالف قطعيات الدين؟

بأشياء متوهمة بأسباب وتحليلات ليست نصية.

فلا يجوز للمسلم أن يترك النص الصحيح الصريح في وجوب موالاة المؤمنين ثم أن يعطل وأن يجعل هذه الموالاة منسوخة باحتمالات سياسية وعقلية، وقد تكون وقد لا تكون، وإن كانت قد تكون سديدة وقد لا تكون سديدة.

فالأصل في المؤمن أن يدور مع النص، والدوران مع النص إنما هو للعلماء وليس لغيرهم كما هو معروف معهود.

أصحاب الفتن في هذه الأيام لا يستطيعوا أن ينفكوا عن الشرع، فبعضهم يروج فتنه باسم الشرع، وهذا أمر معروف حتى آخر فتنة مرت بالأمة، وأرجو الله جَلَّ فِي عُلَاه أن يقلعها من شأفتها وألا يبقي لها أثرا في الأمة، مركز تكوين وهذا سمعت به من قريب، مركز تكوين الذي يدعو إلى الإلحاد، فبدأوا بالرمية الأولى، بدأوا بالتشكيك بالسيرة.

قواعد السيرة ليست كقواعد الحديث، وسيرة ابن هشام ليست كصحيح البخاري، فرأوا أن يبلع الناس السم دفعة، دفعة.

فأول شيء بدأوا فيه قالوا سيرة ابن هشام، وبدأوا يشككون في سيرة ابن هشام، ما هو سر التشكيك في سيرة ابن هشام؟

قالوا سيرة ابن هشام أصلا لا يوجد لها إلا نسختين في العالم، القائل أين يعيش؟ قائل هذا يعيش في مصر، قال فقط يوجد نسخة في النمسا، ونسخة في بلد آخر أوروبي، ولا يوجد نسختين.. فبدأ التشكيك.

يوجد في دار الكتب المصرية 22 نسخة من سيرة ابن هشام مخطوطة، والفهرس الذي قام عليه المجمع الملكي الأردني، وهذه مفخرة لكل أردني من الباحثين في علم المخطوطات، أصدروا فهارس بديعة للغاية وكان قائما عليها أستاذنا الدكتور الإمام الجليل الكبير الشيخ ناصر الدين الأسد.

ناصر الدين الأسد قامة شامخة في العلم، أصدروا فهرس لمخطوطات السيرة والمدائح النبوية، وطبع في مجلدين.

فقبل المحاضرة فتشت عن سيرة ابن هشام في هذا الفهرس فوجدت في هذا الفهرس 147 نسخة خطية لسيرة ابن هشام، وهكذا يروجون باطلهم بسبب جهل المسلمين.

لو أن المسلمين يعلمون الحق وهم طلبة علم، ويبحثون كل مسألة بقواعد العلمي لتبخرت الشبه وتبخرت الفتن، وابتعد الناس عن الفتن، وهذا ليس بغريب.

أنا قمت بجولة طويلة في كتاب العراق مع صاحب هرمجدون، وذكر مخطوطات وأنا العبد الضعيف لدي عناية بالمخطوطات، وأعرف المخطوطات ودور الكتب الخطية، ولي صلة بالمخطوطات.

فوالله الذي لا إله إلا هو قلت له أتحداك، المخطوطات التي ذكرتها في هرمجدون كلها لا وجود لها إلا في رأسك.

يكذبون اسمع.. اسمع والله ما أدري أقول نضحك وأم نبكي والله ما أدري. في هرمجدون، أسماء المخطوطات أريد أقول لكم أسماء المخطوطات وأسماء أصحاب بعضهم يقول مثلا في الصفحة 242 يقول نقل من نسخة خطية سماها آخر الكرة الأرضية من جهة الشمال في آخر زمان الرب!

هذا مخطوط والله الذي لا إله إلا الله هو ليس له وجود إلا في رأسه، وهذا الاسم لما أنت تسمعه، وتعرف طبائع الشعوب آخر الكرة الأرضية من جهة الشمال في آخر زمان الرب.. تقول هذا مصري كذاب -مع حبي واحترامي، وأنا أحب شديدا اخوانا المصريين- هذا الكلام كلام مصري، طيب خذ مخطوط آخر قال أين موجود؟ قال مخطوط موجود في كتب خانة. أين كتب خانة؟ كتب خانة كلمة تركية، وخانة مكتبة، المكتبة التي فيها كتب، يعني عزى قال كتب خانة شو كتب خانة؟ وأين هذه الكتب

خانة؟ ما هو رقم المخطوط؟ هكذا يصنعون. قال مخطوط آخر قال في الفاتيكان سماه خير البرية آخر زمن البشرية لخير الدين بن علاء الحنين المدني، وهذا غير موجود إلا في رأس صاحبه، وقال في مخطوط آخر سلم وحرب في آخر زمن الرب. سمى مخطوطات كثيرة كلها كذب.

الشاهد من إيرادي لكل هذا الكلام الفتنة تعلق بالقلب وتعلق بالعقل، ويجب على العبد أن يحصن مداخل الفتنة القادمة إليه، والواجب عليه أن يعمل على أن يغزوها، ولا ينتظر أن تغزوه.

الإنسان الموفق في موضوع الفتن نبحث المسائل مسألة مسألة، وطبيعة الفتنة إن لم نعمل على غزوها تغزونا، ولذا النبي صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ أول الغزاة للفتنة والنبي صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ أخبر أمته، وخص مجالس كثيرة وقلت لكم خص يوما كاملا من بعد الفجر إلى غروب الشمس وهو يقص على أمته الفتن وقال الصحابي في آخر الحديث قال اعلمنا احفظنا، وما ترك النبي صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ -كما قال حذيفة في صحيح مسلم- قال ما ترك رسول الله صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ إلى قيام الساعة إلا أخبر به.

الفتن لها تعلق بالقلوب، ولها تعلق بالعقول والنبي صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ أخبرنا بهذا.

ذكرت لكم قصة أبي وائل شقيق بن سلمة عن عمر، وذكرت الباب، روى نفس القصة الإمام مسلم لكن عن تابعي آخر، والقصة هي هي، ولكن فيها نص نبوي ما ذكرناه سابقا، وهو مكمل لما جرى، ويا ريت هذه القصة بعض الطلبة النبلاء، وأصحاب الهمة يبحثونها بتفصيل ونستطيع نصل، وأنا أسأل نفسي بعد وجود الكتب الكثيرة الآن هل يمكن أن نستطيع أن نجد مجلسا تاما بكماله مجمعا من طرق التخريج؟ مثل ما حصل بين حذيفة وبين عمر بن الخطاب رَضِيَ اَللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا هل يمكن أن نصل لهذا؟ هذا مثلا متمم لذاك المجلس.

أخرج مسلم من طريق ربعي بن حراش، ليس من طريق أبي وائل قال من طريق ربعي بن حراش عن حذيفة قال كنا عند عمر فقال أيكم سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الفتن؟ فقال قوم نحن سمعناه، الذي قال حذيفة -كما بَيَّنَّا- فقال لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا أجل. قال تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن هنا أسقط كلمة الأهل والمال، ولذا الحديث يعرف من خلال جمع الطرق.

الحديث لا تفهمه إلا إذا جمعت طرقه لذا التخريج مهم جدا.

جمع طرق الحديث قال ولكن أيكم سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟

قال حذيفة فأسكت القوم. فقلت أنا. قال أنت؟ لله أبوك. قال حذيفة سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول «**تُعرض الفتن على القلوب عودا عودا فأي أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا**» هذا آخر الزمان.

آخر الزمان على الأمة السلام، إذا ضيعت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مقدمة الجهاد فالجهاد ميادين، وقبل البدء بجهاد الكفار، الواجب على الأمة أن تجاهد الفساق، وجهاد الفساق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن لم يستطع أن يجاهد الفساق يعجز حتما عن مجاهدته للكفار.

فإحياء جهاد الكفار يكون قبله جهاد الفساق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتي هي أحسن. بالتي هي أقوم.

صح عند ابن ماجة عن أنس قال قيل يا رسول الله متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال «إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم» سنن الله في الفتنة هي، هي. «قلنا يا رسول الله، وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم» مُسِنُّون كبار يزنون، «والعلم في رذالكم» طلبة العلم رذال، قال الصدي في شرح قوله والفاحشة في كباركم إذا شاع الزنا حتى أن الكبار لا يستنكفون عنه، والمراد ها هنا بالكبار، كبار السن، وقال وقال «في رذالكم» أي في الأراذل في الدين، وهم لا يتقون الله ولا يعملون بالعلم.

فإذا صار العلم في الرذال فعلى الأمة السلام، والأحاديث في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإخبار النبي عن هؤلاء القوم كثيرة، وتحتاج لجمع وجمعت قسما منها في بعض الكتب التي لم تطبع بعد.

فالأحاديث في ترك هؤلاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة.

العلم يصبح نزهة، مُلْحَة، تتكلم في العلم خصوصا على وسائل التواصل، وكل واحد له مثل المحطة، محطة متلفزة صوت وصورة، والكل له محطة متى يجتمع الناس ولكل ولكل محطته؟

ولذا قلت لكم وأقول وأعيد وأكرر، وسأبقى أكرر هذه الأجهزة موضوعة بين أيدينا، والنفقة عليها ملايين من الدولارات.

هذه الأجهزة ليست من فراغ، يا طالب العلم اتق الله، هذا الجهاز بين يديك قد يدخلك الجنة وقد يدخلك النار.

لا تنشر فيه إلا الحق، وإلا ما أنت متيقن عليه، والمسائل التي تقبل الرأي انتظر ماذا يقول العلماء الكبار، وردد كلامهم. فإن أصابوا فلك، وإن اخطأوا فليس عليك وزر، إياك أن يدخلك هذا الجهاز جهنم.

هذا الجهاز مليء بالشهوات، ومليء بالعورات ويدغدغ العواطف، وإذا أنت أصبحت منبطحا أمام شهوتك مليئا بالشبهات فلا ينتظر منك خير.

فاتقوا الله يا طلبة العلم اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متى عطل في الأمة، فالأمة على شر شديد.

مثلا انظر إلى حديث في إسناده ضعف عن أبي موسى يقول سمعت في يوم الجمعة على منبر البصرة يقول سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الساعة فقال لا يعلمها إلا الله ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:187] ولكن سأحدثكم بمشاريطها، وما بين أيديها.

إن بين يديها ردما من الفتن، وهرجا فقيل وما الهرج يا رسول الله؟ قال هو بلسان الحبشة القتل، وأن تخف -أي تطيش-، قلوب الناس، وأن يلقى بينهم التنافر فلا يكاد أحد يعرف أحدا، ويرفع ذوي الحِجَا، وتبقى رِّجْرِج الناس لا يعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا.

الرِّجْرِج البقية الصالحة من لا يعرفون المعروف ولا ينكرون منكرا الرِّجْرِج، والسبب ما في الحديث وله طرق كثيرة خرج بعضها شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّه في السلسلة الصحيحة برقم 1891 ووجدت له طرقا كثيرة ولست بصدد بسطها، وأنا في آخر مجلسي هذا وبه أختم.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك شيء إلى قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه نسيه من نسيه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم، وغذوا به همتهم ألوان الطعام، وألوان الثياب يتشدقون في الكلام» هذه همتهم. يتشدقون في الكلام هذه همتهم، همهم ما يدخل أجوافهم، وما يلبسون على ظهورهم. ليس لهم هم غيره هذا.

إذا سلمت لنا الرواتب والمناصب والمكاسب، وأكلنا أطايب الطعام، ولبسنا محاسن الألبسة على الأمة السلام، الأمر سهل.. الأمر سهل.

يا عاقل الذي يجري اليوم سيصلك، بعد عشرين سنة، بعد ثلاثين سنة، بعد خمسين، انتبه! قم! افهم! افهم ماذا يجري حواليك. فأنت على الدور لن ينساك أعدائك أصحاب جشع وطمع، وأسأل الله تعالى أن يحفظ بلاد المسلمين من مكر الماكر وكفر الكافرين، وأن يحفظ طلبة العلم من الشهوات والشبهات، وإن يرزقنا وإياكم الإخلاص والصلاح، وأن يحفز هممنا لأن نقوم بديننا وأن ننشر شرعنا، وأن ندعو إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.